

الاتحـــاد

مجاناً مع جريدة الاتحاد

محمد الماغوط



الفرح ليس مهنتي




منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

الكتاب للجميع



مجاناً مع جريدة الإتحاد



■

رئيس التحرير

فرياد رواندزي

■

موبايل ٠٧٩٠١٣١٠٢٣٢

هاتف ٥٤٣٨٩٥٨-٥٤٣٨٩٥٤

E-mail:lttihadpress@yahoo.com

سلسلة شعبية تعيد إصدارها
دار المدى للثقافة والنشر

رئيس مجلس الادارة والتحرير
فخري كريم

الاشراف الفني
محمد سعيد الصگار

سورية - دمشق- ص. ب: ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون : ٢٣٢٢٢٧٥ - ٢٣٢٢٢٧٦ فاكس : ٢٣٢٢٢٨٩
www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy
لبنان -بيروت- الحمراء- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الأول
تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb
العراق - بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
تلفون: ٧١٧٠٣٩٥-٧١٧٠٥١٣ فاكس: ٧١٧٥٩٤٣
almadapaper.com
almada112@yahoo.com almada119@hotmail.com

الهيئة الاستشارية

المنجي بو سنينة
تركي الحمد
جابر عصفور
خالد محمد احمد
خلدون النقيب
سيد ياسين
طلال سلمان
علي الشوك
فؤاد بلاط
محمد الماغوط
محمد برادة



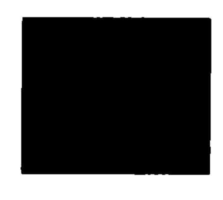
٢٥

محمد الماغوط

الفرح ليس مهنتي

طبعة خاصة
توزع مجانا مع جريدة (الاتحاد)

دار المدى للثقافة والنشر
٢٠٠٦



طفولة بريئة وارهاب مسن

مأساة محمد الماغوط أنه ولد في غرفة مسدلة الستائر اسمها الشرق الأوسط. ومنذ مجموعته الأولى «حزن في ضوء القمر» وهو يحاول إيجاد بعض الكوى أو توسيع ما بين قضبان النوافذ ليرى العالم ويتنسم بعض الحرية. وذروة هذه المأساة هي في إصراره على تغيير هذا الواقع، وحيداً، لا يملك من أسلحة التغيير إلا الشعر. فبقدر ما تكون الكلمة في الحلم طريقاً إلى الحرية نجدها في الواقع طريقاً الى السجن. ولأنها كانت دائماً إحدى أبرز ضحايا الاضطرابات السياسية في الوطن العربي، فقد كان هذا الشاعر يرتعد هلعاً إثر كل انقلاب مرّ على الوطن ، وفي أحدها خرجت أبحث عنه، كان في ضائقة قد تجره إلى السجن أو ما هو أمرّ منه، وساعدني إنتقاله الى غرفة جديدة في إخفائه عن الأنظار، غرفة صغيرة ذات سقف واطئ حشرت حشراً في خاصرة أحد المباني بحيث كان على من يعبر عتبتها أن ينحني وكأنه يعبر بوابة ذلك الزمن.

سرير قديم، ملاءات صفراء، كنبة زرقاء طويلة سرعان ماهبط مقعدها، ستارة حمراء من مخلفات مسرح قديم. في هذا المناخ عاش محمد الماغوط أشهراً عديدة.

لنفترض أن الشرق العربي بقعة سوداء على خريطة الماضي والحاضر، فما يكون لون المستقبل؟ ولنبحث بعد ذلك عن مصير الشعر والشعراء من خلال ذلك الظلام الدامس . وإذا ما استعملنا ضوء الذاكرة وجدنا أن محمد الماغوط في وجه من الوجوه جزء من المستقبل، لذا كان لابد من حمايته من غباء الحاضر. ألا يكون

مستقبل شعرنا رماداً لو تركنا الشعراء للسلطة؟ ولأن هذا الشاعر محترق بنيران الماضي والحاضر، لجأ إلى نيران المستقبل وهو جزء منها بحثاً عن وجود آخر وكينونة جديدة. بدت الأيام الأولى كاللعبة البطولية لنا نحن الاثنين . ولكن لما شحب لونه ومال إلى الاصفرار المرضي وبدأ مزاجه يحتد بدت لي خطورة اللعبة. كان همي الكبير أن يتلاشى الاعصار دون ان يخنق غباره «النسر».

كنت أنقل له الطعام والصحف والزهور خفية. كنا نعتز بانتمائنا للحب والشعر كعالم بديل متعال على ما يحيط بنا. كان يقرأ مدفوعاً برغبة جنونية. وكنت أركض في البرد القارس والشمس المحرقة لأشبع له هذه الرغبة، فلا ألبث أن أرى أكثر الكتب أهمية وأغلاها ثمناً ممزقة أو مبعثرة فوق الأرض مبقعة بالقهوة حيث ألتقطها وأغسلها ثم أرصفها على حافة النافذة حتى تجف. كان يشعل نيرانه الخاصة في روائع أدبية بينما كانت الهتافات في الخارج تأخذ من بعيد شكلاً معادياً.

وقبل ذلك كان محمد الماغوط غريباً ووحيداً في بيروت. وعندما قدمه أدونيس في أحد اجتماعات مجلة «شعر» المكتظة بالوافدين، وقرأ له بعض نتاجه الجديد الغريب بصوت رخيم دون أن يعلن عن اسمه، وترك المستمعين يتخبطون (بودلير؟ .. رامبو؟..) لكن أدونيس لم يلبث أن أشار الى شاب مجهول، غير أنيق، أشعث الشعر وقال : «هو الشاعر.. » لاشك أن تلك المفاجأة قد أدهشتهم وانقلب فضولهم إلى تمتمات خفيضة. أما هو، وكنت أراقبه بصمت ، فقد ارتبك واشتد لمعان عينيه. بلغة هذه التفاصيل وفي هذا الضوء الشخصي نقرأ غربة محمد الماغوط. ومع الأيام لم يخرج من عزلته بل غير موقعها من عزلة الغريب الى عزلة الرافض.

من يدرس حياة هذا الشاعر يرى أن فترات الخصب عنده تتواقت مع الأزمات. «فالعصفور الأحدب» وأعمال أخرى مازالت مخبأة في الأدراج، وقسماً كبيراً من «الفرح ليس مهنتي» جاءت نتيجة انفجار بشري داخلي عنيف حدث في أواخر ذلك الشتاء. في هذه الحمى أخذ يرى علائق الأشياء بعضها بالبعض الآخر . وإن هذه الارتباطات قد تنقلب الى علائق خطرة فيما إذا تضخمت من طرف واحد تاركة الطرف الآخر يرتجف دون حول أو قوة . ومحمد الماغوط يبحث عن الحماية منذ صغره. لكن كلما التجأ الى ركن رآه خانقاً كالسجن أو واهياً كالورق . أراد أن يدخل كون الشعر حيث لا سلطة إلا للمتفوقين . والبيئة المضطربة المتقلبة التي عاش في مناخها ، كانت تقف كالسوط في وجهه لترده باستمرار الى الداخل فيعتصم

بمخيلته. في تلك المؤامرة الكبيرة التي حاكتها البيئة ضده عظمت براءته وقوي صفاؤه. وقد أعطته تلك الاقامة السرية فرصة كبيرة للتأمل الذهني. وتحت تلك العدسات كان الوجود الانساني يدخل سلسلة من التحولات. سكب أحماضه المأساوية على الفوضى البشرية، فبدا الوجود الواحد يحمل في أعماقه وجودات لا حصر لها. وهذا ما دفعه لأن يطرق ألواناً أخرى غير الشعر.

في الشعر يمتطي حلمه ويغيب . ليس بمعنى التخلي الشعوري عن واقعه ، وإنما بمعنى الطموح الملح لخلق وجود بديل عنه. وجود آخر يهيم معه في سفره. غرفة الشعر غرفة لينة، واسعة ، فضفاضة . تنتقل كلما أشار اليها الشاعر. أما الآن فلا مفر له وهو داخل تلك الجدران المتسخة من مواجهة الواقع. لذا انعكست أوضاعه على أبطال «العصفور الأحدب» سجنهم، خلقهم مشوهين وبأمزجة حادة، متقلبة وشائكة . المسافة في المسرحية لا تنقلهم نحو أحلامهم أو نحو الأفضل وإنما تحاصرهم. وعندما امتلكوا الحرية تغيرت مرتفعاتهم الانسانية. دخلوا في علائق جديدة. شكلوا مرة أخرى لعبة الحاكم والمحكوم التي ما استطاعوا أن يذهبوا خارج حدودها بالرغم من الحريات التي امتلكوها فيما بعد. في «العصفور الأحدب» لم يلتق محمد الماغوط بجمهوره بمعنى المواجهة. التقى به في حالة الجذب والقيادة. ولأن الزمن بينه وبين الآخرين كان شاسعاً أنكرت كعمل مسرحي وسميت قصيدة. في الحقيقة كان في «العصفور الأحدب» قائداً يسير خلفه جيش مهترئ، منكوب أرمد . لذا ارتد القائد في «المهرج» وفضح تلك المخازي.

يعتبر محمد الماغوط من أبرز الثوار الذين حرروا الشعر من عبودية الشكل. دخل ساحة العراك حاملاً في مخيلته ودفاتره الأنيقة بوادر قصيدة النثر كشكل مبتكر وجديد وحركة رافدة لحركة الشعر الحديث. كانت الرياح تهب حارة في ساحة الصراع، والصحف غارقة بدموع الباكين على مصير الشعر حين نشر قلوعه البيضاء الخفاقة فوق أعلى الصواري. وقد لعبت بدائيته دوراً هاماً في خلق هذا النوع من الشعر، إذ ان موهبته التي لعبت دورها بأصالة وحرية كانت في منجاة من حضانة التراث وزجره التربوي . وهكذا نجت عفويته من التحجر والجمود . وكان ذلك فضيلة من الفضائل النادرة في هذا العصر.

سنية صالح

من العتبة إلى السماء

الآن
والمطرُ الحزين
يغمرُ وجهي الحزين
أحلم بسلّمٍ من الغبار
من الظهورِ المحدودبه
والراحاتِ المضغوطةِ على الركب
لأصعدَ إلى أعالي السماء
وأعرف
أين تذهبُ آهاتنا وصلواتنا ؟
آه يا حبيبتي
لابد أن تكون
كل الآهاتِ والصلوات
كل التنهدات والاستغاثات
المنطلقة
من ملايين الأفواه والصدور

وعبر آلاف السنين والقرون
متجمعةً في مكانٍ ما من السماء ... كالغيوم
ولربما
كانت كلماتي الآن
قربَ كلماتِ المسيح
فلننتظر بكاء السماء
يا حبيبتي

حلم

منذ أن خُلقَ البردُ والأبواب المغلقه
وأنا أمدّ يدي كالأعمى
بحثاً عن جدار
أو امرأةٍ تؤويني
ولكن ماذا تفعل الغزالةُ العمياء
بالنبع الجاري ؟
والبلبلُ الأسير
بالأفقِ الذي يلامسُ قضبانه ؟
في عصر الذرةِ والعقولِ الالكترونيه
في زمنِ العطر والغناء والأضواءِ الخافته
كنتُ أحدِّثها عن حداءِ البدو
والسفر إلى الصحراء
على ظهورِ الجمال
ونهداها يصغيان إليّ
كما يصغي الأطفال الصغار

لحديثٍ ممتعٍ حول الموقد
كنا نحلم بالصحراء
كما يحلم الراهبُ بالمضاجعه
واليتيمُ بالمزمار
وكنت أقول لها وأنا أرسل
نظراتي إلى الأفق البعيد .
هناك نتكئُ على الرمال الزرقاء
وننام صامتَين حتى الصباح
لا لأن الكلماتِ قليله
ولكن لأن الفراشاتِ المتعبه
تنامُ على شفاهنا .
غداً يا حبيبتي غداً
نستيقظ مبكرين
مع الملاحين وأشرعة البحر
ونرتفعُ مع الريح كالطيور
كالدماءِ عند الغضب
ونهوي على الصحراء
كما يهوي الفمُ على الفم
ونمنا متعانقين طوال الليل
وأيدينا على حقائبنا
وفي الصباح أقْلَعْنا عن السفر
لأن الصحراء كانت في قلبينا .

الغجري المعلَّب

بدون النظر إلى ساعة الحائط
أو مفكرةِ الجيب
أعرف مواعيد صراخي .
وأنا هائمٌ في الطرقات
أصافح هذا وأودِّعُ ذاك
أنظر خلسةً إلى الشرفاتِ العاليه
إلى الأماكن التي ستبلغها أظافري وأسناني
في الثورات المقبله
فأنا لم أجمعْ صدفه
ولم أتشرّد ترفاً أو اعتباطاً
«ما من سنبلةٍ في التاريخ
إلا وعليها قطرةٌ من لُعابي ».
أعرفُ أن مستقبلي ظلام
وأنيابي شموع
أعرف أن حد الرغيف

سيغدو بصلابة الخنجر
وأن نهر الجائعين سوف يهدر ذات يوم
بأشرعته الداميه
وفرائصه الغبراء
فأنا نبيٌّ لا ينقصني إلا اللحية والعكاز والصحراء
ولكنني سأظلُّ شاكي السلاح
في «قادسية العجين»
في «واترلو الحساء» التي يخوضها العالم
هكذا خلقني الله
سفينةً وعاصفه
غابةً وحطابا
زنجياً بمختلف الألوان كالشفق ، كالربيع
في دمي رقصة الفالس
وفي عظامي عويلُ كربلاء
وما من قوة في العالم
ترغمني على محبة ما لا أحب
وكراهية ما لا أكره
مادام هناك
تبغٌ وثقاب وشوارع

خريف الأقنعة

أيها الماره
إخلوا الشوارعَ من العذارى
والنساء المحجبات ...
سأخرجُ من بيتي عارياً
وأعودُ إلى غابتي .
محال .. محال
أن أتخيَّلُ نفسي
إلا نهراً في صحراء
أو سفينةً في بحر
أو .. قرداً في غابيه
يقطفُ الثمار الفجَّه
ويلقي بها على رؤوس الماره
وهو يقفزُ ضاحكاً مصفقاً
من غصنٍ إلى غصن .
أنا لا أحمل هويةً في جيبي

ولا موعداً في ذاكرتي
أنا لم أجلسْ في مقهى
ولم أتسكعْ على رصيف
أنا طفل
ها أنا أمدُّ جسدي بصعوبه
لأدفن أسناني اللبنية في شقوق الجدران
أنا شيخ
ها ظهري ينحني
والمارة يأخذون بيدي
أنا أمير
ها سيفي يتدلّى
وجوادي يصهلُ على التلال
أنا متسولٌ
ها أنا أشحذ أسناني على الأرصفه
وألحقُ المارةَ من شارع إلى شارع
أنا بطل .. أين شعبي ؟
أنا خائن .. أين مشنقتي ؟
أنا حذاء .. أين طريقي ؟

سلمية

سلمية   الدمعةُ التي ذرفها الرومان
على أوَّلِ أسير فكَّ قيوده بأسنانه
ومات حنيناً إليها
سلمية .. الطفلةُ التي تعثَّرَتْ بطرف أوروبا
وهي تلهو بأقراطها الفاطميه
وشعرها الذهبي
وظلَّتْ جاثيةً وباكيةً منذ ذلك الحين
دميتُها في البحر
وأصابعها في الصحراء .
يحدُّها من الشمال الرعب
ومن الجنوب الحزن
ومن الشرق الغبار
ومن الغرب .. الأطلالُ والغربان
فصولُها متقابلةٌ أبداً
كعيون حزينةٍ في قطار

نوافذها مفتوحةٌ أبداً
كأفواهٍ تنادي .. أفواه تلبي النداء
في كل حفنةٍ من ترابها
جناحُ فراشةٍ أو قيدُ أسير
حرفٌ للمتنبي أو سوط للحجاج
أسنانُ خليفة، أو دمعةُ يتيم
زهورها لا تتفتَّحُ في الرمال
لأن الأشرعةَ مطويةٌ في براعمها
لسنابلها أطواقٌ من النمل
ولكنها لا تعرفُ الجوع أبداً
لأن أطفالها بعددِ غيومها
لكلِّ مصباح فراشه
ولكل خروفٍ جرس
ولكلِّ عجوز موقدٌ وعباءة
ولكنها حزينةٌ أبداً
لأن طيورها بلا مأوى
كلما هبَّ النسيم في الليل
ارتجفت ستائرها كالعيون المطروفه
كلما مرَّ قطارٌ في الليل
اهتزتْ بيوتها الحزينةُ المطفأه
كسلسلةٍ من الحقائب المعلقة في الريح
والنجومُ أصابع مفتوحة لالتقاطها
مفتوحة ـ منذ الأبد ـ لالتقاطها .

الحصار

دموعي زرقاء
من كثرةِ ما نظرتُ إلى السماء وبكيت
دموعي صفراء
من طولِ ما حلمتُ بالسنابلِ الذهبيةِ
وبكيت
فليذهبْ القادةُ إلى الحروب
والعشاقُ إلى الغابات
والعلماءُ إلى المختبرات
أما أنا
فسأبحث عن مسبحةٍ وكرسيٍّ عتيق ...
لأعودَ كما كنت ،
حاجباً قديماً على باب الحزن
ما دامت كل الكتب والدساتير والأديان
تؤكدُ أنني لن أموت
إلا جائعاً أو سجيناً

المصحف الهجري

على هذه الأرصفةِ الحنونة كأمي
أضع يدي وأقسم بليالي الشتاء الطويله :
سأنتزعُ علم بلادي عن ساريته
وأخيط له أكماماً وأزرارا
وأرتديه كالقميص
إذا لم أعرفْ
في أيٍّ خريفٍ تسقطُ أسمالي .
وإنني مع أول عاصفة تهبُّ على الوطن
سأصعد أحد التلال
القريبة من التاريخ
وأقذف سيفي إلى قبضةِ طارق
ورأسي إلى صدر الخنساء
وقلمي إلى أصابع المتنبي
وأجلس عارياً كالشجرة في الشتاء
حتى أعرف متى تنبتُ لنا

أهدابٌ جديدة ، ودموعٌ جديده
في الربيع ؟
وطني أيها الذئب الملوي كالشجرة إلى الوراء
إليك هذه «الصور الفوتوغرافية»
للمناسف والاهراءات
وهذه الطيور المغردة ، والأشرعة المسافره
على «طوابع البريد»
اليك هذه الجحافل المنتصره
والجياد الصاهلة على الزجاجِ المعشّق
ووبر السجاد
اليك هذه الأظافر المدّخره
في نهاية الأصابعِ كأموال اليتامى
بها سأكشطُ خطواتي عن الأرصفه
سأبتر قدميّ من فوق الكاحلين
وألقي بهما في الأنهار
في صناديق البريد
وأظل أقفزُ كالجندب
حتى يعود عهد الفروسية
والانذار قبل الطعنه.

بدوي يبحث عن بلاد بدوية

أيها الفراشُ الباردُ والمظلم كالزقاق
آه كم أتمنى لو أشجّكَ بفأس
أين الشفاهُ التي قبلتها ؟
والنهودُ التي داعبتُها ؟
كأنَّ القدرَ يصوِّبُ مسدساً إلى ظهري
ويسلبني كلَّ شيء في وضح النهار .
آه كم أتمنى .. لو أستيقظُ ذات صباح
فأرى المقاهي والمدارس والجامعات
مستنقعات وطحالبَ ساكنه
خياماً تنبحُ حولها الكلاب
لأجدَ المدن والحدائق والبرلمانات
كثباناً رمليه
آباراً ينتشل الأعراب ماءهم منها بالدلاء .
آه كم أتمنى لو أكونُ في هذه اللحظه
محموماً في قرية بعيده

على سريرٍ غريب
وتحتَ سقفٍ غريب
وامرأة عجوز لم تقع عيناي عليها من قبل
تسألني ،
وهي تعصرُ منديلها المبلّل فوق جبيني :
من أي بلاد أنت يا بني ؟
فأجيبها والدموعُ تملأ عيني :
آه يا جدتي ....

أمير من المطر، وحاشية من الغبار

١ ـ الشبح الصغير

أنت يا من تداعبُ خيوط المطر
كالنسّاجِ الأعمى
وتتلّمسُ بقايا الجداول الزرقاء
كضريرٍ يتعرَّف على ملامحِ أحفاده
من أنت ؟
أيتها الشوارع
أيتها الحانات
من هذا الشبحُ الراقدُ على الأرصفه
والنمل
يتجاذبُ مسبحته ومنديله
وخصلاتِ شعره ؟
ـ انه بردى
ـ بردى ؟
لا أذكر أخاً أو صديقاً بهذا الاسم

أهو صندوقٌ أم جدار ؟
ـ مولاي
انه بردى ...
النهر الذي ترافقه الزهور العطشى
من نبعه إلى مصبِّه
ـ ليراجعْني غداً
في مكتبي القائم بين الأرصفه
علّني أجد له ميتماً بحرياً
أو سحابةً شمطاء تتبناه
ـ مولاي
انه ليس متسولاً يا مولاي
انه بردى ...
بردى الألثغُ الصغير
كَبُرَ وشبّ
واهترأتْ مريلتُهُ الخضراء على صدره
ولم يعدْ يغادرمجراه
حتى في الليالي المقمره
حتى في أيام العُطل والآحاد
انه يعتذر عن جريانه القديم ...
يضمُّ راحتيه إلى صدره
ويفتحهما باكياً، كالراهبة المغتصبه
من أجل سفينةٍ ورقيه
أو سنونو .. يرشف ماءه ويطير !
ـ ليكنْ
لقد وهبه الله

كل ما يحلم به نهرٌ صغير
من الطبقة المتوسطه
الوحل والبعوض والربيع
ولكنه أتى على كل شيء
في حقبةٍ واحده
أروع مطرٍ في التاريخ
أجمل سحب الشرق العاليه
بدَّدها على الغرغرةِ وغسلِ الموتى
ليراجعْني غداً
في مكتبي القائم بين الرياح
وطلبُ الاسترحامَ
ملصوقٌ على ضفتيه
ان جلد النسر المعلَّقِ على الحائط
لا يثيرُ شفقتي
بل يذكِّرني
بدمِ أشلائه وصرخات ضحاياه

٢ـ الشبح الكبير

وأنت يا جدتي الحزينه
ماذا تفعلين في مثل هذه الساعه
بملاءتك المرقعةِ وسالفيك الأشيبين ؟
هل أضعتِ مسبحتك
وأنت تنقلينها من جيبٍ إلى جيب؟
أم طردك أحفادُك

وأنتِ منهمكةٌ في القيل والقالِ ومضغ المخللات ؟
أيتها الأرض
أيتها السماء
من هذه العجوز الجامدةُ عند المنعطف ؟
والبعوضُ يحوّم فوق رأسها
كأنه مصباحُ أو مستنقع !!
إنها لا تسألُ ولا تجيب
وإنما تهزُّ رأسها يمنةً ويسره
وهي تعلكُ حجابها المبلَّل بالدمع .
ـ انها دمشق
ـ دمشق ؟ لا أعرفُ أماً أو شقيقةً بهذا الاسم
أهي خزانةٌ أم مطرقةٌ أم مرآة ؟؟
ـ انها مدينتك يا مولاي
ـ مدينتي ؟ لا مدينة لي سوى جيوبي
ـ مدينتُك وطنك ..
ـ وطني ؟ لا وطن لي
سوى هذه البقع والخربشات على الخرائط
وهذا الدخانُ الذي أنفثه من
شفتي كل لحظة ..
ـ بلى يا مولاي
تذكر الحواري الضيقة وأشباح المقابر
لحم الجمل وأزهارَ اللوز
تذكَّر الصباحاتِ الباردة
والأيدي المحمرَّةَ من صفْعِ المساطر
وإبر الجدّات المسنَّات .

ـ بلى . بلى
تذكرتُها
دمشق المناسفِ والاهراءات
دمشق البيضه المسلوقه
والرغيف المطوي «بعناية» في حقيبةِ المدرسه
دمشق الخيول الجامحه
والسفن التي تسد وجه الأفقً
دمشق الغبار
والدراجة المسنودة على الحائط
دمشق النجوم والمشاعل المضاءة على ذرى الأورال
دمشق الليل .. والقنديل المطفأ بالشفتين
دمشق الحداء والخناجر المسوحة برايات كسرى
دمشق التأتأه
والبصمات المسوحة بالركب وقوائم الطاولات .
دمشق المنتصبة على شواطئ الأطلسي
دمشق المحدودبه أمام الصنبور
دمشق الوحل ، النجوم، فقاقيع الحمى
أشلاء الثوار
اضربوها بالحجاره
دعوا الأطفال يتحلَّقون حولها
وألسنتهم ناتئةٌ من بين الأسنان
ليعلِّقوا في ملاعتها صفائحَ التنك
وهم يرقصون ضاحكين هازئين
عندما انتزعوني من سريري الغافي ،
وأنا أغطّ كفراشةٍ على زهرة

ورحتُ أنبض آلاف السنين
كحشرةٍ مقلوبةٍ على ظهرها
تشبثتُ بجدرانها
بحلقاتِ أبوابها
بلحى شيوخها وأثداء نسائها
وأنا أنظر إليها باكياً متوسلاً
كما كان العبدُ المطوق بالحراب
ينظر إلى أمه الطبيعه .
قلت لها عطشانُ يا دمشق
قالت : اشربْ دموعك
قلت لها : جوعانُ يا دمشق
قالت : كلْ حذائي .
ـ وماذا قلت لها
ـ لا شيء
أطرقتْ في الأرصفة وبكيت .
ـ والآن
ـ والآن قولوا لها ان الأغنيةَ التي غادرتْ حنجرتها
قبل آلاف السنين
قد بلغتْ حافةَ القيثاره
وأن الأصابعَ التي كانت تُبْتَر
مع الأغصان الزائده
عن أسوار الحصون والقلاع
تتجمّعُ الآن على هوامش الصفحات
تجمّعَ البحارةِ على الشواطئ
قولوا لها كلَّ شيء يا رجال

باسم الآباء والأجداد
باسم القطط والكلاب
ولكن ليس باسمي
سأظلُ مع القضايا الخاسرة حتى الموت
سأظل مع الأغصان الجرداء حتى تزهر
مع دمشق القديمة كملامحي
مع العتبات الرطبه
والسعال المصطنع قبل دخول الأبواب
كيف أهجرها
وقدماي منغرستانِ في أرصفتها
كنابين في لثّة
كيف أنساها
وقد تركت آثارها على جلدي وصفحاتي
كما يترك التبغ آثاره على الاصبعين
كما يطلُ النسر على فراخه
كنت أطلُ على أرصفتها كل صباح
ما من حصاة في الطريق
الا وقذفتها بقدمي
ما من صنبورٍ في حاراتها الضيقه
إلا وشربت منه بفمي
ما من حارس ليلي أو بائع صبار
في لياليها المقمره
إلا وسامرتُهُ وسامرني
ما من مزلاجٍ في أبوابها العتيقه
إلا وداعبته بجبهتي وأصابعي

ولكن ما من بابٍ مغلق
فتح ذات ليله
وقال أهلاً أيها الغريب
اضربوها بالسياط
اطردوها من الأبواب
والكتب والحانات والأعراس والمآتم
وأغلقوا في وجهها كل أبواب العالم
لتظلَّ وحيدة كالريح ... كالله
ولكن
اسملوا عينيَّ قبل أن تفعلوا ذلك
إنني أحبُّها يا رجال
ولن أخونها
ولو ذرفت الكسور الدَّورية للدموع.

الظل والهجير

كلُّ حقولِ العالم
ضدّ شفتين صغيرتين
كل شوارع التاريخ
ضدّ قدمين حافيتين
حبيبتي
هم يسافرون ونحن ننتظر
هم يملكون المشانق
ونحن نملك الأعناق
هم يملكون اللآلئ
ونحن نملكُ النَّمَشَ والتواليل
هم يملكون الليل والفجر والعصر والنهار
ونحن نملك الجلد والعظام .
نزرعُ في الهجير ويأكلون في الظل
أسنانهم بيضاء كالأرز
وأسناننا موحشةٌ كالغابات

صدورهم ناعمةٌ كالحرير
وصدورنا غبراء كساحات الاعدام
ومع ذلك فنحن ملوكُ العالم :
بيوتهم مغمورةٌ بأوراق المصنفات
وبيوتنا مغمورة بأوراق الخريف
في جيوبهم عناوين الخونة واللصوص
وفي جيوبنا عناوين الرعد والأنهار
هم يملكون النوافذ
ونحن نملك الرياح
هم يملكون السفن
ونحن نملك الأمواج
هم يملكون الأوسمه
ونحن نملك الوحل
هم يملكون الأسوار والشرفات
ونحن نملك الحبالَ والخناجر
والآن ،
هيا لننامَ على الأرصفة يا حبيبتي .

أيها السائح

طفولتي بعيدة ... وكهولتي بعيده ...
وطني بعيد ... ومنفاي بعيد
أيها السائح
أعطني منظارك المقرِّب
علِّني ألمح يداً أو محرمةً في هذا الكون تومىءُ إليّ
صورني وأنا أبكي
وأنا أقعي بأسمالي أمام عتبة الفندق
وأكتبْ على قفا الصورة :
هذا شاعرٌ من الشرق .
ضعْ منديلك الأبيضَ على الرصيف
واجلسْ إلى جانبي تحت هذا المطر الحنون
لأبوح لك بسر خطير :
اصرفْ ادلاّءك ومرشديك
والقِ إلى الوحل .. إلى النار
بكل ما كتبت من حواشٍ وانطباعات

إن أيّ فلاح عجوز
يروي لك «بيتين من العتابا»
كل تاريخ الشرق
وهو يدرج لفافته أمام خيمته .

واجبات منزلية

وأنا في خريف العمر
والشيخوخةُ البيضاءُ بدأتْ تمسُّ جبيني
كالياسمين الدمشقي عند كل منعطف
من يُوليني اهتمامه ؟
أديري قرص الهاتف يا حبيبتي
واطلبي، مزيداً من الرعب والعذاب
لم أعد أبالي
مستقبلي في قبري
وجمهوري الوحيدُ هو ظلي
في الطريق اليه
لا
اطلبي لي كوفيةً وعقالاً
وصحراء لا حدود لها
لأعودَ إلى الماضي
وأحضر ملفَّ دموعي ورقم خدي

لا
اعطيني هويتي ودفتر عناويني
وجواز سفري
سأصفّها حول جبيني
وأجلس متربعاً وسط المدينه
كزعيم إحدى القبائل المتوحشه
وأبادلها بالخرز والمرايا الملونه
لا اغرسي كلاّبةً في شفتي السفلى
وجرّيني كالجثه النافقه
إلى ضواحي المدينه
ودحرجيني في أحد الوديان .
وإذا ما لمحك علمُ بلادي المختال
فوق ساريته
اعبري بسرعه
كالمَدين أمام حانوت مُدينِه .

بعد تفكير طويل

انزعوا الأرصفه
لم تعدْ لي غايةٌ أسعى إليها
كل شوارع أوروبا
تسكعتُها في فراشي
أجملُ نساء التاريخ
ضاجعتهنَّ وأنا ساهمٌ في زوايا المقهى
قولوا لوطني الصغير والجارح كالنمر
انني أرفعُ سبابتي كتلميذ
طالباً الموت أو الرحيل
ولكن
لي بذمته بضعةُ أناشيدَ عتيقه
من أيام الطفوله
وأريدها الآن
لن أصعدَ قطاراً
ولن أقول وداعاً

ما لم يُعِدْها إلي حرفاً حرفاً
ونقطة نقطه
وإذا كان لا يريد أن يراني
أو يأنف من مجادلتي أمام الماره
فليخاطبْني من وراء جدار
ليضعها في صُرَّةٍ عتيقةٍ أمام عتبه
أو وراء شجرة ما
وأنا أهرعُ لالتقاطها كالكلب
ما دامت كلمة الحرية في لغتي
على هيئة كرسيٍّ صغيرٍ للاعدام .
قولوا لهذا التابوت الممدد حتى شواطئ الأطلسي
إنني لا أملكُ ثمن المنديل لأرثيه
من ساحات الرَّجم في مكه
إلى قاعاتِ الرقص في غرناطه
جراحٌ مكسورةٌ بشعر الصدر
وأوسمةٌ لم يبقَ منها سوى الخطافات
الصحارى خاليةٌ من الغربان
البساتينُ خاليةٌ من الزهور
السجون خالية من الاستغاثات
الأزقة خالية من الماره
لاشيء غير الغبار
يعلو ويهبط كثدي المصارع
فاهربي أيتها الغيوم
فأرصفةُ الوطن
لم تعد جديرةً حتى بالوحل .

كل العيون نحو الأفق

مذ كانت رائحةُ الخبز
شهيةً كالورد
كرائحة الأوطان على ثياب المسافرين
وأنا أسرِّحُ شعري كل صباح
وأرتدي أجمل ثيابي
وأهرع كالعاشقِ في موعده الأول
لانتظارها
لانتظار الثورة التي يبستْ
قدماي بإنتظارها
من أجلها
أحصي أسناني كالصيرفي
أداعبها كالعازفِ قبل فتح الستار
بمجرَّد أن أراها
وألمع سوطاً من سياطها
أو رصاصةً من رصاصاتها

سأضعُ يدي حول فمي
وأزغرد كالنساءِ المحترفات
سأرتمي على صدرها كالطفل المذعور
وأشكو لها
كم عذبني الجوع وأذلّني الإرهاب
وفي المساء
سآخذها إلى الحواري الضيقه
والريف المصدور
سأجلسُ وإياها تحت مصابيح الشارع
وأروي لها كل شيء
بفمي وأصابعي وعينيّ
حتى يدبَّ النعاس في أجفانها
وتغفو رويداً رويداً
كالجدَّةِ أمام الموقد
ولكن
إذا لم تأتِ
سأعضُّ شَراييني كالمراهق
سأمدُّ عنقي على مداه
كشحرورٍ في ذروة صداحه
وأطلبُ من الله
أن يبيدَ هذه الأمه .

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

في الليل

هناك نحلٌ .. وهناك أزهار
ومع ذلك فالعلقمُ يملأ فمي .
هناك طُرَفٌ وأعراسٌ ومهرجون
ومع ذلك فالنحيبُ يملأ قلبي .
أيها الحارسُ العجوزُ يا جدّي
أعطني كلبك السلوقي لأتعقًّبَ حزني
أعرني مصباحك الكهربائي
لأبحث عن وطني .
من أزقة طويلة كسياط أجدادي
آتي إليك ،
والاستغاثاتُ مصطفَّةٌ في حنجرتي كالمجاذيف
لأشكوَ لك الغبارَ والجماهير
الليلَ والزهور والموسيقى
لأشكو لك ذلك الرصيف :
ما ان شرعت بقصتي

حتى انسل بين الأزقة كالأفعى
وتركني وحيداً ... وقدماي
تهتزان في الهواء كقدميّ المشنوق
ولذا جئتك مرفرفاً بيدي كالخفاش
لا أعرف أين أمضي هذه الليله
وكل ليله
الأرصفةُ التي أعبرها
تلفظُ خطواتي كالدواء المرّ
الجدران التي أَلْمُسها
ترتعشُ تحت أصابعي كالشفاه قبل الزئير
أحسد المسمار
لأن هناك خشباً يضمُّهُ ويحميه
أغبطُ حتى الجثث الممزقة في الصحراء
لأن هناك غرباناً ترفرفُ حولها وتنعقُ لأجلها
آه يا جدي
لقد اشتقتُ للظلم للارهاب
للتعلّقِ بالأغصان بالشاحنات
للتمسّك بأيّ شيء
ولو بقضبان السجون
إنني لستُ ضائعاً فحسب
حتى لو هويتُ عن أريكتي في المقهى
لن أصل إلى سطح الأرض بآلاف السنين .

اليتيم

آه

الحلم ...

الحلم ...

عربتي الذهبية الصلبه

تحطمتْ ، وتفرَّقَ شملُ عجلاتها كالغجر

في كل مكان

حلمتُ ذات ليلة بالربيع

وعندما استيقظت

كانت الزهورتغطي وسادتي

وحلمتُ مرةً بالبحر

وفي الصباح

كان فراشي مليئاً بالأصداف وزعانف السمك

ولكن عندما حلمت بالحريه

كانت الحراب

تطوّقُ عنقي كهالةِ المصباح .

... فلن تجدوني بعد الآن
في المرافئ أو بين القطارات
ستجدونني هناك ... في المكتبات العامه
نائماً على خرائط أوروبا
نومَ اليتيم على الرصيف
حيث فمي يلامس أكثر من نهر
ودموعي تسيل من قارةٍ إلى قاره .

الوشم

الآن
في الساعة الثالثة من القرن العشرين
حيث لا شيء
يفصل جثثَ الموتى عن أحذيةِ الماره
سوى الاسفلت
سأتكئ في عرضِ الشارع كشيوخ البدو
ولن أنهض
حتى تجمع كل قضبان السجون وإضبارات المشبوهين
في العالم
وتوضع أمامي
لألوكها كالجمل على قارعة الطريق ...
حتى تفرَّ كلُّ هراواتِ الشرطةِ والمتظاهرين
من قبضاتِ أصحابها
وتعود أغصاناً مزهرة «مرة أخرى»
في غاباتها

أضحكُ في الظلام
أبكي في الظلام
أكتبُ في الظلام
حتى لم أعدْ أميِّز قلمي من أصابعي
كلما قُرِعَ بابٌ أو تحرَّكَتْ ستاره
سترتُ أوراقي بيدي
كبغيٍّ ساعةَ المداهمه
من أورثني هذا الهَلَع
هذا الدم المذعور كالفهد الجبليّ
ما ان أرى ورقةً رسميةً على عتبه
أو قبعةً من فرجة باب
حتى تصطكُّ عظامي ودموعي ببعضها
ويفرّ دمي مذعوراً في كل اتجاه
كأن مفرزةً أبديةً من شرطة السلالات
تطارده من شريان إلى شريان
آه يا حبيبتي
عبثاً أستردُّ شجاعتي وبأسي
المأساةُ ليست هنا
في السوط أو المكتب أو صفارات الانذار
إنها هناك
في المهد ... في الرَّحم
فأنا قطعاً
ما كنت مربوطاً إلى رحمي بحبل سرّه
بل بحبل مشنقه .

النخاس

الاسم : حشره
اللون : أصفر من الرعب
الجبين : في الوحل
مكان الاقامة : المقبرة أو سجلات الإحصاء
المهنة : نخاس
البضاعة : رمال ذهبية وسماء زرقاء
عواصف ثلجيه
وشواطئُ متعرِّجةٌ لا يحدُّها البصر
لارهاقِ الملاحين ومصمّمي الخرائط
عندي غبارٌ للقرى
رمدٌ للأطفال
وحولٌ للأزقة
وحجارةٌ لصنعِ التماثيل وقمعِ المظاهرات
عندي آباء للتذمر
أمهاتٌ للحنين
أرصفةٌ لبيع الزهور

وغاباتٌ لصنع السفنِ والقباقيبِ وسواري الأعلام
عندي ثلجٌ للعصافير
وخريفٌ للغابات
سعالٌ للأزقه
ونوافذُ عالية لمناداة الباعة، للاستغاثات .
عندي كل شيء أيهاَ السادة
نسور أعقاب سجاير
نشارة خشب
صفائح فارغه
وعندي... شعوب
شعوب هادئةٌ وساكنةٌ كالأدغال
يمكن استخدامها
في المقاهي والحروب وأزمات السير
أسرعوا أيها السادة
ها هو الليلُ يقترب
وعليَّ أن أنهي صفقتي
قبل غياب الشمس
أخرِجوا محافظكم ولا تخيفنَّكم أسعاري
كلُّ الفتوحات العربيه
مقابل «سرير»
كل نجوم الشرق
مقابل عود ثقاب
لأهتدي إلى أقرب حصاةٍ
أو مسمارٍ في هذا الوطنْ
أغرسه في صدري كمنقار البجعه
وأموت .

الخوف

أمي ...
يا ذات النهد الملون كالأكواخ الافريقيه
أسرعي لنجدتي
تعالي وخبئيني في جيبكِ الريفي العميق
مع الابرِ والخيطان والأزرار
فالموتُ يحيق بي من كل جانب
السماءُ تظلم
والريحُ تصفّر
والكلابُ السوداء
تنهشُ الكتب الدامية من حقائب الماره
وأخشى في هذه الأيام المكفهره
أن أستيقظ ذات صباح
فلا أجدُ طائراً على شجره
أو زهرةً في جديله
أو صديقاً في مقهى

أن أوثقَ ذات صباح
إلى المغسلة أو عمود المدفأه
ليدرزَني الرصاص
والفرجون في فمي .
أتوسَّل إليك أن تسرعي يا أمي
وأن تعرِّجي في طريقك
على الحصادين ومضارب البدو
وتسأليهم عن «حجاب» جلديّ
عن «عشبة» ما
تقيني هذا الخوف :
أدخلُ إلى المرحاض وأوراقي الثبوتيةُ بيدي
أخرج من المقهى وأنا أتلفَّتُ يمنةً ويسرة
حتى البرعم الصغير
يتلفت يمنة ويسرة قبل أن يتفتَّح
آه يا أمي
لو أن هتلر بقي رساماً
وماركس قضى في خناق الطفوله
لو أن لويس السادس عشر
كان أكثرَ فحولةً وبطشا
وماري أنطوانيت أقلَّ فتنة وكبرياء
لو كانت قلاع الباستيل على ذرى قاسيون
ووحل باريس على أرصفة دمشق
لو كان الشرق هشيماً
والريحُ أكثر قوةً وذكاء

عندما احترقت روما
آه يا أمي
لو كانت الحرية ثلجاً
لنمت طوال حياتي بلا مأوى

مسافر عربي في محطات الفضاء

أيها العلماءُ والفنّيون
أعطوني بطاقة سفر إلى السماء
فأنا موفدٌ من قبل بلادي الحزينه
باسم أراملها وشيوخها وأطفالها
كي تعطوني بطاقة مجانيةً إلى السماء
ففي راحتي بدل النقود ... «دموع»
لا مكان لي ؟
ضعوني في مؤخرة العربه
على ظهرها
فأنا قروي ومعتادٌ على ذلك ،
لن أؤذي نجمه
ولن أسيءَ إلى سحابه
كل ما أريده هو الوصول
بأقصى سرعةٍ إلى السماء
لأضع السوطَ في قبضة الله
لعله يحرّضنا على الثوره .

الى بدر شاكر السياب

يا زميل الحرمان والتسكع
حزني طويلٌ كشجر الحور
لأنني لست ممدّداً إلى جوارك
ولكنني قد أحلُّ ضيفاً عليك
في أية لحظه
موشحاً بكفني الأبيض كالنساء المغربيات
لا تضعْ سراجاً على قبرك
سأهتدي إليه
كما يهتدي السكِّير إلى زجاجته
والرضيعُ إلى ثديه
«فعندما ترفعُ قبضتك في الليل
وتقرعُ هذا الباب أو ذاك
وأنت تحملُ دفتراً عتيقاً
نُزِعَ غلافهُ كجناح الطائر
وأنت تسترجعُ في ذاكرتك المتعبه

هذه الجملةَ أو تلك
لتقصَّها على أحبابك حول المصطلى
ثم تسمعُ صوتاً يصرخ من أعماق الليل :
لا أحدَ في البيت
لا أحد في الطريق
لا أحد في العالم
ثم تلوي عنقك وتمضي
بين وحولٍ آسنه
وأبواب أُغلقت بقوة
حتى تساقطَ الكلس عن جدرانها
وأنت واثقٌ أن المستقبل
يغص بآلاف الليالي الموحشه
والأصوات التي تصرخ
لا أحد في البيت
لا أحد في الطريق
لا أحدَ في العالم
هل تضعُ ملاءةً سوداء
على شاراتِ المرور وتناديها يا أمي
هل ترسم على عُلبِ التبغِ الفارغه
أشجاراً وأنهاراً وأطفالاً سعداء
وتناديها يا وطني
ولكنْ أيَّ وطنٍ هذا الذي
يجرفه الكناسون مع القمامات في آخر الليل ؟»
تشبَّثْ بموتك أيها المغفل
دافعْ عنه بالحجارةِ والأسنان والمخالب

فما الذي تريد أن تراه ؟
كتُبك تباع على الأرصفه
وعكازُكَ أصبح بيد الوطن
أيها التَّعِسُ في حياته وفي موته
قبرُكَ البطيءُ كالسلحفاة
لن يبلغَ الجنَّة أبداً
الجنَّةُ للعدَّائين وراكبي الدراجات .

المهذبة في عصر وحشي

كالزنجي النائم ورمحه بيده
أمكث في هذه الأدغال الحجريه
بانتظار شيء ما
فهل أجدُ في غاباتِ روحك العذراء
غصناً متواضعاً
لطائر جريح اسمه ... قلبي ؟؟
سأكسوك بالقُبَلِ كالأضرحه
كالشجرةِ في الربيع
وبين كل قبلة وقبلة
سأنظر شاكراً وممتنّاً إلى السماء
كعصفورٍ ظمآنَ يشربُ من آنيه .
سأدفنُ وجهي بين نهديك الحنونين
وأصرخُ كبدوي ينادي قبيلته
أيتها الحمامةُ التي تزورني
وجناحاهامعقودان كشريطةِ المدرسه

كَفاك ىحديڡا ڡي راحتي
بحثاً عن خطوط العمر والحظّ والمستقبل
لقد امَّحتْ كلُّها من حمل الحقائب
وشد القلوع في .. «الأحلام»
وعبثاً تتقصين أسرارحزني
من اضبارتي المدرسية
أو رفاقي في المقهى
فحزني لا حسبَ له ولا نسب
كالأرصفه
كجنين وُلِدَ في مبغى

رسالة إلى القرية

مع تغريدِ البلابل وزقزقة العصافير
أناشدُكَ الله يا أبي
دعْ جمع الحطب والمعلومات عني
وتعالَ لَملمْ حطامي من الشوارع
قبل أن تطمرني الريح
أو يبعثرني الكناسون
هذا القلم سيوردني حتفي
لم يتركْ سجناً إلا وقادني إليه
ولا رصيفاً إلا ومرَّغني عليه
وأنا أتبعه كالمأخوذ
كالسائر في حلمه
في المساء يا أبي
مساء دمشق البارد والموحش كأعماق المحيطات
حيث هذا يبحثُ عن حانه
وذاك عن مأوى

أبحث أنا عن «كلمة»
عن حرف أضعهُ إزاء حرف
مثلَ قطٍّ عجوز
يثبُ من جدار إلى جدار في قرية مهدمه
ويموء بحثاً عن قطته
ولكن .. أو تظنني سعيداً يا أبي ؟
أبداً
لقد حاولت مراراً وتكراراً
أن أنفضَ هذا القلم من الحبر
كما يُنْفَضُ الخنجر من الدَم
وأرحل عن هذه المدينه
ولو على صهوةِ جدار
ولكنني فشلت
ان قلمي يشمُّ رائحة الحبر
كما يشمُّ الذكر رائحة الأنثى
ما ان يرى صفحةً بيضاء
حتى يتوقَّف مرتعشاً
كاللص أمام نافذةٍ مفتوحة
أنام
ولا شيء غير جلدي علىَ الفراش
جمجمتي في السجون
قدماي في الأزقة
يداي في الأعشاش
كسَمكة «سانتياغو» الضخمه
لم يبقَ مني غير الأضلاع وتجاويف العيون

فاقتلعنيْ من ذاكرتك
وعدْ إلى محرائك وأغانيك الحزينه
لقد تورطتُ يا أبي
وغدا كلُّ شيء مستحيلاً
كوقفِ النزيف بالأصابع .



شتاء

كالذئاب في المواسم القاحله
كنا ننبتُ في كل مكان
نحبُّ المطر
ونعبدُ الخريف
حتى فكرنا ذات يوم
أن نبعث برسالة شكر إلى السماء
ونلصق عليها
بدل الطابع .. ورقة خريف
كنا نؤمن بأن الجبال زائله
والبحار زائله
والحضارات زائله
أما الحب فباق ..
وفجأة : افترقنا
هي تحبُّ الارائك الطويله
وأنا أحبُّ السفن الطويله

هي تعشق الهمس والتنهداتِ في المقاهي
وأنا أعشق القفز والصراخ في الشوارع
ومع ذلك ..
فذراعاي على امتداد الكون
بانتظارها ...

الغابة

مغريةٌ كلماتُ الوداع
مغرية .. مغرية كزجاجة السُّم
في راحةِ القائد المنهزم
ولكنها قاضيةٌ يا حبيبتي
إنها تضربُ رأسي
كما تضربُ الحِمَمُ جدار البركان
أقول ذَهَبَتْ
فلتذهبْ
ليست أكثرَ خلوداً من المذابح والحضارات
ولكن
كلماحزمتُ أمتعتي وحاولت الفرار
يقبضُ عليَّ حبُّك كذراع الميت
كالستائرِ الغامضة في أفلام الرعب .
من أغلق كل هذه الأبواب والنوافذ
وترك دمي وحيداً في العراءِ

ينبح كجروٍ أحمرَ في أزقةِ العروق البشرية ؟
أنت .
من كسى جلدكِ بالقبلات
وزيَّنه كالستائر الأندلسية
بالشعرِ والدموعِ وطعناتِ السياط ؟
أنا .
أنا وأنت يا حبيبتي
حطَّابان مقروران في غابة بائسة
كل منهما يحمل فأساً قاطعه
كحد السيف
ويهوي عليها شجرة بعد شجرة
وغصناً بعد غصن
دون أن ندري
أن هذه الغابة هي .. «حبنا».

الفائض البشري

أنا الذي لم أقتل حتى الآن
في الحروب أو الزلازلِ أو حوادثِ الطرق
ماذا أفعل بحياتي ؟
بتلك السنوات المتماوجةِ أمامي
كالبحر أمام البجعه ؟
بعد أن ذهبتْ زهرةُ كلماتي
على الرسائل وطلبات الاسترحام
ورُسم مستقبلي
كما تُرسم البطة على لوح المدرسه
هل أعبِّرُ عن أحلامي
بالهمس واللمس كالمكفوف ؟
أم أتركها تسيل على جوانب رأسي
كصمغ الأشجار الاستوائيه ؟
أيتها النوافذ
قليلاً من هواء الغابات

انني أختنق
ورئتاي جاحظتان خارج صدري
كعَيْنَيْ اليتيمِ
وصوتي ضالٌّ كالرعد
لا يعرف أجيالاً مقبلة ينشدها
ولا فماً قديماً يعود إليه .
أيها البناؤون ادعموني بحجر
إنني أتصدع
كالجدران التي خالطها الغشّ
أنهار
كالقمم الثلجيةِ تحت شمس الربيع
آه
لو يتمُّ تبادلُ الأوطان
كالراقصاتِ في الملهى .

حتى الأغصان ترتجف

كالغربانِ المولية الأدبار
سأصرخ يا حبيبتي
إذا لم تعطيني سراجك في الليل
وذراعك في الشيخوخه
وسريرك في الزمهرير
ولقمتَكِ في المجاعات
سأحشو مسدسي بالدمع
وأملأ وطني بالصراخ
اذا لم تعطيني جناحاً وعاصفه
لأمضي
وعكازاً من السنونو
لأعود
حتى الأغصان العالية ترتجف
عندما أنظر إليها وأبكي
آه لو أن الأيام المتواليه

تنال من روحي وأصابعي وعيني
ما تناله السكين من الثمره
والخريفُ من الأغصان
لأمسي طفلاً صغيراً بطول المدفأه
لأحرق العالم
وأصنع من رماده
كفناً لدراجة صغيره أعرفها
مزماراً حزيناً لوطن قديم أعبده
ثلاثين عاماً
لم أهزّ دميه
لم ينهرني جدّ
لم أتشبثْ بملاءه
لم أبكِ في زقاق
ثلاثين عاماً
لم أرَ علم بلادي مبللاً بالمطر
وأنا أنفخُ راحتي في الزمهرير
وأغني : موطني ... موطني ...

بكاء السنونو

إلى : ن.ح

يا من طعنتماني في الظهر
وأنا مكبٌّ على أوراقي
كالشيخ فوق سجادته
الذئبُ والأفعى لن يكونا أبداً
حمامتين تحت المطر
المطر لي
المطر والرعد والريح والشوارع
هي ملكي
ومعي وثيقةٌ من السماء بذلك
أحقاً سرتما تحت المطر
وعلى أرصفتي وفي شوارعي ؟
إذن لن أحبَّ المطر بعد اليوم
لا المطر ولا الريح ، ولا القمر ولا الصخور
سأحب شعبي ...
يا شعبي احتضني

أنت الأبُ الحكيم
وأنا الطفلُ الضالّ
أنت السيلُ الجارف
وأنا الكوخ المتداعي
أعطني فرصة أخيرة وانتظر
سأحبّ عمالك وفلاحيك
سأعتزّ حتى ببغاياك وأوحالك
وأطلي بها جبيني كالهندي المحارب
سأقف جامداً كالتمثال عند تحية العلم
وأصرخ كالمجنون في المظاهرات
ولكن لا تقسُ عليّ يا شعبي
هجرتُك لأنك هجرتني
تجاهلتُك لأنك تجاهلتني
ولكنني أقسم بكل جليلٍ ومحرّم
ما نسيتُك في يوم من الأيام
وأنا غارق في الهموم والنقاشات
عن السأم والأزياء الفاضحه
كنت أفكّر بخرافك الهزيله
ومرضاك المكدسين في الممرات .
وأنا أشعل اللفائف للمدعوين
وأقهقه ساخراً في الحفلات
كنت أفكر بقراك الموحله
وعجائزك المترنحات على ضوء القناديل
هيّا ..
كلانا أساء للآخر

لنجرحْ أصابعنا كيفما اتفق
وليشربْ كلٌّ منا قطرةً من دم الآخر
ولنتآخى
لنخلط دموعنا وهمومنا كالنقود المسروقه
ولنمضِ وحيدين
ضدّ الزمن ضد العاصفة
والندوب تتحرك على جباهنا
كعقارب الساعات ...

الهضبة

لا تصفعْني أيها القدر
على وجهي أمتارٌ من الصفعات
ها أنا
والريح تعصف في الشوارع
أخرج من الكتب والحانات والقواميس
خروجَ الأسرى من الخنادق .
أيها العصرُ الحقير كالحشره
يا من أغريتني بالمروحةِ بدل العواصف
وبالثقاب بدل البراكين
لن أغفر لك أبداً
سأعود إلى قريتي ولو سيراً على الأقدام
لأنثر حولك الشائعات فور وصولي
وأرتمي على الأعشاب وضفاف السواقي
كالفارس بعد معركة منهكه
بل كما تعبر الكلابُ المدربة حلقاتِ النار

سأعبرُ هذه الأبواب والنوافذ
هذه الأكمام والياقات
محلقاً كالنسر
فوق خفر العذارى وآلام العمال
باسطاً جناحي كالسنونو عند الأصيل
بحثاً عن أرض عذراء
كلما لامسها كوخٌ أو قصر
أميرٌ أو متسول
وثبتْ جامحةً في الهواء
كالفرس الوحشية اذا مسَّها السرج .
أرض،
لم توجد ولن توجدَ إلا في دفاتري .
حسناً أيها العصر
لقد هزمتني
ولكنني لا أجد في كل هذا الشرق
مكاناً مرتفعاً
أنصبُ عليه راية استسلامي .

ذكرى حادث أليم لم يقع

فيما كنت أتسكَّعُ تحتَ الأشجار المزهرة
مع مذكراتي وغليوني
كبطلٍ عجوزٍ يتريَّض في منفاه
لمحتُهم يهرولون في العواصف الثلجيه
نصفهم معاطف
ونصفهم عباءات
يرشقون الوحل بنعالهم كالرصاص
وكل منهم يشبِكُ أصابعه فوق رأسه
ويصرخ :
النجدة .. النجدة
أنا دفتر
أنا ثائر
أنا كاتب عدل
أنا هاتف
أنا ساعي بريد
وأنا أجثم على جدران المدينه

كسلَّم الحريق
وسيفي مغروس حتى قبضته
في نخاع الباستيل.

مروحة السيوف

في المدن يستعملون المراوحَ والمرطبات
أما في الصحراء ، فماذا يفعلون
غير انتظار العاصفة؟
ولكن أين العاصفة ؟
لا القلوعُ البيضاء تعرف
ولا الراياتُ الذابلةُ على التلال
أن العاصفةَ هناك
مترددةً وراء الأفق البعيد
كالبغيّ أمام عتبةِ الفندق
والنسرُ العجوز
آخرُ نسرٍ في التاريخ
ينتظرها وحيداً وصامتاً كالحوذي
امضِ إليها أيها النسر العجوز
وكفاك تذوقاً
لفضلاتِ السُّحُب والعواصف الغابره
كالطاهي القديم

فالعاصفةُ قد لا تنهي زينتها قبل أجيال
ولكن كيف يمضي إليها
ومنقاره مهترئٌ كإبهام الحذَّاء
كيف يسرع
وهو يترنح كدراجةٍ تعبر النهر .
عاماً بعد عام
والريشُ الأبيض يتّسخُ على صدره
كفُوَط الخدم
جيلاً بعد جيل
والنسيماتُ الصغيرة تدفعه
من صخرةٍ إلى صخره
ومن سهلٍ إلى آخر
وهو مشيحٌ عنها ، مستسلم لها
كبغيٍّ في معسكر
انه يحنُّ إلى معركةٍ أخيره
مع القدر
مع العاصفة
مع «ذبابة»
بهذه المخالب المتآكله
والمنقار الذي كاد يستقيم
من كثرة ما ضربه على الصخور
في ساعات الذكرى :
فيما مضى
كان يفتلُ جناحيه كالأبّ الشرقي
يفتحهما كالأكمام الريفية المطرزه

ويهيمُ فوقِ المدن والقارات
بينما السُّحُبُ والعصافير الصغيره
تركض وراءه لاهثةً
كالغوغاء في مواكب الملوك .
فيما مضى
فيما مضى
أما الآن
فلا شيء
غير الأسى والذكريات .
كنس الغبار بجناحيه المتعبين
وربض تحت العوسجِ الذابل
كقاطع الطريق
موقناً أن العاصفةَ ستأتي
وأن أسنانها الغازية
سوف تلمعُ عما قريب
كأضواء السُّفن ومشاعل الثورات
وقد صمَّم على المعركة
بكل هزاله وأنقاضه
حيث الصحراءُ مقفره
والمعركة بلا هتاف أو شهود
وطال انتظاره في الهجير
وفيما هو يكبو رويداً رويداً
كمسافر عجوز على طريق وعرة
ومخالبه تسيل كالحلوى الرخيصة على الرمال
مرَّت به نسمةٌ باردة كالينبوع

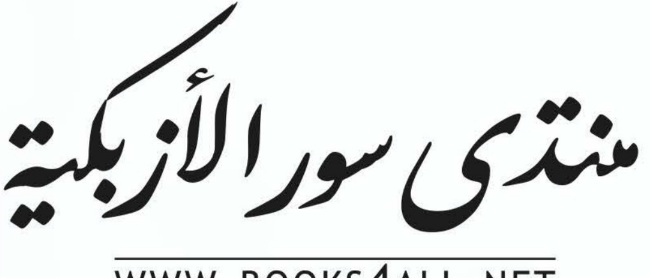
فتنهَّدَ منتشياً
كالمراهقِ وقد مسَّته امرأة
وتابع الرقاد من جديد ..
تحت شمسٍ لاهبة
وعزلةٍ طويلة كالدهر .
وفجأةً أظلم الأفق
وتمايلت العوسجة
وارتفع الذيلُ المتسخ بالعرق والدم
وانطلق الذبابُ الدفينُ في الجراح
مدوّماً لا يلوي على شيء
فانتفض قلبه من الفرح
وأخذ يقفزُ هنا وهناك
كخروفٍ يسعى لملاقاة أمه
العائدة من المرعى
لقد أقبلت :
سريعة ومدوِّمة كراقصةٍ على الجليد
قطار أحول من الطعنات
ينشد كبد الأرض للمرة الأولى
فليستفدْ من كل حبة رمل
وضربةِ مخلب
وليخرجَ من المعركة منتفخاً
فالعاصفة كالحصباء .. كموسيقى النصر
تأتي مرَّةً واحدةً ولا تعود
والنسر بلا قمةٍ أو عاصفه
كالعروس بلا أقراط أو دموع .

فتح منقاره خلسةً كصيَّاد الفراشات
وتراجع بحذر واحترام
كتلميذ أمام أستاذه القديم
... وأنشبه في العاصفه
في الرمال.. في الدماء .. في المسارح
في القبلات المذعوره
والخواتم التي تحمل شعر السلاميات،
في اللاشيء
وراح يدورُ كالمغزلِ وسط ريشه الممزَّق
وصيحاتُهُ المدوِّيةُ كطلقاتِ الرصاص
كتلةٌ من الدم والأبهه
تحاضر من وراء طاولة الصحراء
في فنّ العطش وتمزيق الأوصال
في الحلم الذي أتاه على طبقٍ من الهجير
خانقاً وحنوناً كالقبلات
وقد آن لأجملِ أسير في التاريخ
أن يزدردَ خرزه الأحمر خارج الأقفاص
أن يضع السلالم على كتف العاصفه
ويقطف ثمار حزنه كالبستاني
ولكن العاصفة كانت تهزُّ كتفيها
كالراقصة الشرقيه
تتمنَّعُ عليهِ كالمومسِ المحترفه
أمام مراهقٍ غرّ
حتى إذا ما سنحتْ لها الفرصه
فتحتْ باب الأفق ..

وولَّتْ الأدبار
فجُنَّ جنونه
وراح يثبُ كالهرّ
كطفل مذعور يحاول عبثاً
بلوغ مطرقة الباب
وهو يرى كل شيء ينحني ويميل
الشمس والرمال والجراح
والأفق إلى جواره مجوَّف ومقزز
كالرحم بعد الولادة
ولحق بها مرغياً مزبداً
كسكير يحاول اقتحام الحانه
بعد أن طرد منها مئات المرات
ولكن دون جدوى
لقد أسدلت العاصفة ستائرها
وأغلقت سجل الزوّار
وهنا بكى النسر العجوز
ورفع مخالبه كالأصابع المتضرعه
وراح ينتحب كالأطفال .
وبعد آلاف الأميال
وبعد كل ذلك الزهو والبطش الجارف
هَوَتِ العاصفةُ على شاطئ البحر
ووجهها ممزق كوجه الملاكم
لقد أقفر الصدر من النهود والأوسمه
وجُرِّدَتِ العروسُ من الخواتم والمرايا
واتكأتْ على الصخور

كسكّيرٍ أمام مغسله
لقد كانَ في أعماقها ألمٌ مميت
أظافرُ صغيرةٌ وصيحاتٌ حاده
أخذتْ تنبعُ كالنمل
من ثقوبِ الأنفِ والأذنينِ والبلعوم
لترقصَ كالغجر
على ظهرها المقوس والرهيب كالجسر
من أين ينبعُ هذا الألم؟
هذه الطعناتُ المشتعلةُ كنيران الأعراس
من غطّى كفلها البربري
بهذه الجراح الغزيرة والندية كأهدابِ العاشق ؟
وفيما هي تكبو رويداً رويداً
كمذنب يعترف بكل شيء
تذكّرَتْ أن ثمَّةَ جداً قديماً
لكلِّ هذه الجراح والآلام
كان ينبشُ أعماقها كالكنز
ثمة شيء صغير كالبرغوث
قاومَ وناضلَ حتى الموت
ولابدَّ أن كلَّ هذه الآلام القاتله
وهذا الريش والصيحات المتراكمه
على فوهاتِ الجراحِ
من ذلك الشيءِ الصغير كالبرغوث
وفجأةً انطرحتِ العاصفه على قفاها
كخيمة كبيرةٍ بحجم العالم
ثم تقلَّصَتْ بحجم المنديلِ وماتتْ
ودموعُها تسيلُ على هيئةِ نسر .

الفهرس


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

الكتاب للجميع

هكذا نريده؛ إيماناً بكونه قيمة تحتفظ بحجمها وفاعليتها مدى العصور.

وإذ شرعنا فعلاً بإنتاج هذه السلسلة من الكتب القيمة التي نشرت خلال العقود الماضية وتعذر وصولها إلى قارئ اليوم، فإنما نهدف إلى إشاعة المعرفة وتيسير وسائلها وتمكين القارئ من الوصول إلى الينابيع الفكرية ذات التأثير في حركة الثقافة وتاريخ الفكر، بأيسر السبل وأقل التكاليف.

ونأمل أن تكون سلسلة (الكتاب للجميع) إنجازاً فعلياً ووسيلة ميسرة تتيح للقارئ تكوين مكتبة ذات مساحة منفتحة على مختلف فروع المعرفة بكلفة لا تثقل عليه.

كل الأطراف المشاركة في
هذا المشروع العربي متنازلة
عن حقوقها لصالح القارئ



سلسلة كتب شهرية
توزع مجاناً
مع الصحف التالية

الاتحاد	العراق
القاهرة	مصر
السفير	لبنان
الحياة	السعودية
الأيام	البحرين
البيان	الإمارات
الثورة	سورية
القبس	الكويت
المدى	العراق

ISBN:2-84305-835-X

